شهادات كبار المفكرين المصريين على العهد الناصري

ونختتم هذا الفصل بذكر شهادات بعض كبار المفكرين المصريين الذين درسوا ثورة يوليو وكتبوا عنها ، وقد راعيت صدق وموضوعية وتنوع اتجاهات وانتماءات هؤلاء الكُتَّاب قدر علمي وجهدي ، ولكن هذه الشروط تنطبق على الكثير من المفكرين والكتاب بعضهم أكثرت من الاستشهاد بكتبهم وآرائهم في هذا الكتاب وغيره فاكتفيت بما ذكرت من آرائهم ، وبعضهم لم يوجز شهادته على العهد الناصري إنما بسطها داخل كتبه ، وبعضهم آراؤه معروفة مشهورة فلا داعي لإعادتها ثانية . وفي الأخير فإن الاختيار مسئولية صاحبه أمام الله تعالى والوطن العزيز .

شهادة سليمان حافظ

يقول سليمان حافظ [1] في الفصل الأخير " حساب الأرباح والخسائر من كتابه "ذكرياتي عن الثورة " : " خبت في الشعب روح الإيمان بنفسه بعد أن كانت الثورة في أول عهدها قد أذكتها فيه مُهيِّئة له تولي سلطاته الطبيعية – خبت الروح تحت ضربات البطش والإرهاب من حاكم عقد نيته على الحكم بأمره ، لا يكاد يستر نيته ما

([1]) سليمان حافظ هو ثالث ثلاثة كان لهم أبلغ التأثير في ثورة يوليو فهو علي ماهر والسنهوري هم الذين استعان بهم قادة الثورة بعد نجاحها لإدارة شئون البلاد وتوليد نظام الحكم الجديد ، وبعد إقالة وزارة علي ماهر أصبح سليمان حافظ المسئول الفعلي عن تشكيل وزارة محمد نجيب وإدارتها ولا يقطع أمر إلا بمشورته وقد تولَّي فيها منصب نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية وهو الذي أقترح على قادة الثورة طرد الملك وحمل بنفسه وثيقة التنازل التي وقع عليها فاروق ، وهو الذي أفتى بالوصاية المؤقتة على العرش، وهو المسئول الأول عن حل الأحزاب ، وإسقاط دستور ٢٣ ، وصدور الإعلان الدستوري للثورة ، فهو أقرب المدنيين من مجلس القيادة ومحل ثقتهم .

يصنعه هو وأنصاره من مظاهر التهليل والتضليل ، ومشى ذهب المعز إلى جانب سيفه على أنقاض الأخلاق وأشلاء الرجال يطآن بالأقدام المبادئ والمثل التي كانت الثورة قدر رفعتها فوق الهامات .

وراجت سوق النفاق وافتتت الصحافة في تملق أصحاب السلطان حتى بلغت حد التقديس وشارفت مشارف التأليه ، ولم ير هؤلاء بأساً من استعمال الانتهازيين وضعف النفوس في سبيل دعم حكمهم وتوطيد سلطانهم ، وأضحى للناس وجهان: يبدون أحدهما للحاكم وتلوح عليه مظاهر التأييد والتحبيذ والأخر فيما بينهم يقطر ببغض العبيد وكراهية الأرقاء ، فإذا أنكرت عليهم أمرهم اعتذروا عن أنفسهم بأنه لا مندوحة لهم عنه ؛ دفعاً لما عسى أن يصيبهم من شر هولته أوهام ضعاف القلوب وجَسَّمَته أخيلة مرضى النفوس .

وشجَّع هذا كله الحاكم ؛ ففرض على الشعب باسم الشعب –ولكن على كُرْه منه– دستوراً يجعل الحكم منه وإليه دكتاتورية لفرد أباها لنفسه عمر بن الخطاب ذاته وأباها عليها المسلمون ، لا يكاد يستر وجهها البغيض الشائه ما حاولت أن تستخفي خلفه من غلائل ديمقراطية زائفة ما كان لها أن تخفيها ، بل زادت معالمها وضوحاً ، ولم يكن للحاكم بد من جعل القوة سنداً لحكمه ، فعمد إلى إيثار الجيش بصفة عامة على سائر طوائف الأمة إيثاراً أوجد الفرقة بينها وبينه ، بعد أن وحَّدت الثورة من أمرهما وآخت بينهما ، فحلَّت الطائفية في الحاضر محل الحزبية في الماضي ، وكل منهما أسوأ من الأخرى نكراً .

بل إنه في سبيل السيطرة على الجيش ذاته أقال كثيرين من خيرة ضباطه ، وسلَّط أنصاره من صغارهم على كبارهم ، وأغدق النِّعم على من يحسنون إظهار الولاء ، وأنزل النِّقَم على من تشكك فيهم ممن لم يتقربوا إليه بالخنوع والرياء ، فراجت الوشاية والسعايات إنْ بالحق أو بالباطل ، وعاد الشك وسوء الظن بين أبناء الطائفة الواحدة بعد الثقة والإخاء ، وهكذا كانت نكبتنا في نظام الحكم لا تقل شأناً عن نكبتنا بانفصال السودان إن لم تزد .

ومن الإنصاف أن أسجِّل ما أصابته الحكومة من نجاح ملحوظ في سياستها الخارجية نتيجة اتخاذها موقف الحياد بين الكتلتين الغربية والشرقية وإعلانها له واستغلالها إياها ، وما أدَّى إليه ذلك من تبوء مصر مكانة مرموقة في المجال الدولي.

ولكن لا يغيب عنك أن هذا التوفيق راجع في أغلبه إلى سياسة كل من الكتلتين قِبَل الأخرى ، وهي سياسة لا أمان لنا من تغيُّرها ولا سلطان لنا عليها ، بحيث يخلق بنا إذا أردنا أن نحتفظ بما وصلنا إليه من نجاح في سياستنا الخارجية أن نهيِّئ لها سندها الطبيعي من سياستنا الداخلية ، لا سيما ما تعلَّق منها بنظام الحكم ، وهو أُسُّ السياسات جميعاً ، ولن يتسنَّى لنا ذلك ما دام نظام الحكم المفروض على هذا الشعب نظاماً ديكتاتورياً لا يصلح إلا لتسخير الفرد للدولة في حين أنها لم توجد إلا لخدمته ، ومن شأن هذا النظام قتل الروح ، وإحياء الجسد ، ولا خير في نظام يقوم على تربية الأجسام على حساب الأرواح ، ودعم الماديات بإعدام المعنويات ؛ لأنه يجعل من الأمة قطيعاً من السائمة ، لا يهمها أن يحكمها فرد منها أو أجنبي عنها .

كما أسجِّل أيضاً جهوداً لإصلاح بعض المرافق الاقتصادية والتعليمية والاجتماعية والصحية والإدارية ، بيد أن هذه الإصلاحات إنما كانت في واجهة البناء قبل حوائطه وجدرانه ، إيثاراً للمظهر على المَخْبَر ، وليس ثمة جدوى تذكر من طلاء البناء قبل دعم ما اختلَّ من أركانه .

أخيراً أسجِّل انسحاب القوات البريطانية من منطقة القناة ، وهو حدث له خطره . ولكن ليس الجلاء الذي جاهد المصريون جميعاً في سبيله بقدر قلَّ أو جلَّ بل مرحلة من مراحله ، ما دامت القاعدة العسكرية جاثمة في منطقة من بلادنا خمس سنوات ونصف السنة مكملة لمدة سبع سنوات قابلة للتجديد تبقى خلالها القاعدة مُهيَّأة لعودة قوات أجنبية لمواجهة احتمالات قد لا يكون لنا فيها ناقة ولا جمل ، عودة من شأنها تعريض بلادنا لويلات حرب تأتي على الحرث والنسل ، نكون فيها بمثابة حطب لوقود غيرنا . إن الجلاء لا يتم إلا بزوال تلك القاعدة إلى غير رجعة ، لأن

الإستراتيجية الحديثة لم تعد الآن تعتمد على قوات متنقلة تعسكر بل على قواعد ثابتة تقام .

إلى هنا تنتهي ذكرياتي عن الثورة وأحداثها فأضع قلمي آملاً أن يكون الله سبحانه وتعالى بجليل حكمته قد قدَّر لبلادنا مما اعتبرته ضراً خيراً ومما كرهته شراً خيراً . [1]

وهناك ملحوظتان على كلام سليمان حافظ :

١- عدم ذكر سليمان حافظ اسم عبد الناصر ولو مرة واحدة رغم أنه هو المَعْنيِّ بكل ما ذكر والسبب بسيط جداً وهو أن هذه الذكريات أو المذكرات قد كُتِبَت في عصر عبد الناصر فقد أرخها صاحبها بتاريخ ٢٣ يونيه ١٩٥٦ .

٢- محاولة سليمان حافظ إلصاق كل التهم بنظام حكم عبد الناصر ، ومع ذلك يذكر الإصلاحات التي تَمَّت في بعض المرافق : الاقتصادية ، والتعليمة والاجتماعية، والصحية . وذلك لأن هذه الإصلاحات قامت بها وزارتا علي ماهر المَدَنيَّة ، ووزارة محمد نجيب التي شكَّلها سليمان حافظ واختار أعضائها بنفسه من المدنيين وتولى فيها منصب نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية .

لكن الحقيقة أنه هو وعلى ماهر والسنهوري المسئولون عن وصول الأمر إلى ما وصل إليه من استبداد في نظام الحكم فقد كانوا وراء حلِّ الأحزاب وإسقاط دستور ٢٣ وتأجيل الانتخابات البرلمانية ، ومد الفترة الانتقالية إلى ثلاث سنوات كل هذا كان تصفية حسابات قديمة مع الوفد حدت بهم إلى الحيلولة بين وصول الوفد إلى الحكم، وتزيين الحكم في أعين الضباط .

يقول خالد محيي الدين: " ويمكنني القول أن أغلب من أحاطوا بالثورة، من مستشارين، ومن قوى سياسية، كانوا يعملون جميعاً من أجل استمرار العسكريين في الحكم، وضد الديمقراطية والبرلمان. وكان السنهوري، وسليمان حافظ، وفتحي رضوان، يشجعون الضباط على تحدي الدستور والديمقراطية؛ بحجة أنها ثورة، وأن للثورة

([1]) سليمان حافظ " ذكرياتي عن الثورة " دار الشروق ص ١٤٠ – ١٤٢ .

قانونها الخاص. كذلك كان الدكتور سيد صبري، أستاذ القانون الدستوري، يشجع هذا الاتجاه كذلك، ويقول إنه لا مبرر للتمسك بالنصوص، وإن البلد في وضع ثوري، وبحاجة إلى خطوات ثورية، وإلى فقه ثوري. وكان الإخوان المسلمون يشجعون هذا الاتجاه كذلك، ربما بأمل ضرب كل القوى السياسية الأخرى، ثم بعدها يتمكنون من احتواء الثورة، ناسين أن افتقاد الديمقراطية قد ينقلب وبالاً عليهم. وقد انقلب بالفعل وبالاً عليهم، وعنفاً ضدهم "[1]

شهادة توفيق الحكيم

كان عبد الناصر يُصرِّح بحبه لتوفيق الحكيم وإعجابه بكتابه " عودة الروح " وقد منحه أكبر وسام في الدولة ، وسام لا يُمْنح إلا لرؤساء الدول وأولياء العهد ، وكان توفيق الحكيم مؤيداً لثورة يوليو ولعبد الناصر ، وبعد وفاة عبد الناصر فوجئ الناس بكتابه " عودة الوعي " وفيه مراجعة شاملة لمواقف وقرارات عبد الناصر الكبرى ، وكان أول كاتب مصري ينتقد الحقبة الناصرية ، ثم جاءت بعده الكتب تترى يقول توفيق الحكيم : " ربما كانت أول مرة في تاريخ مصر الحديث يحدث فيها أن يظهر معبود له من القداسة والعظمة والسلطة ما لم يكن يملكه الأنبياء والرسل ؛ فالأنبياء المرسلون من السماء كانوا يجدون من يجادلهم ويناقشهم ويعارضهم .

عندما جاء " سارتر " [2] في زيارة لمصر منذ أعوام سألني ، لماذا لا أدافع عن عبد الناصر ، وأكتب عنه كتاباً يمجده ، فقلت : " لكي يكون هناك دفاع يجب أن يكون هناك هجوم ، وعبد الناصر لا يهاجمه عندنا أحد ، ولا يجرؤ في بلادنا أحد على مخالفة رأيه " .

غير أن هذا النظام لم يكن يكتفي بالتصفيق العفوي والهتاف المرتجل ، بل أن الاعتماد الأساسي عنده على التدبير والتنظيم ،وقد رأيت بنفسي ولم أصدق عيني.

([1]) خالد محيي الدين " الآن أتكلم " ص ٢٠٨ .

([2]) جان بول سارتر (١٩٠٥- ١٩٨٠) الفيلسوف الفرنسي الشهير ، زار مصر في فبراير ١٩٦٧ ، واستقبله عبد الناصر في قصر الرئاسة كما زار جريدة الأهرام والتقى حسنين هيكل وتوفيق الحكيم وغيرهما .

قابلت ذات يوم رجلاً من أهل الريف أعرفه . سألته عن سبب وجوده في القاهرة ، فقال إنه متصل بلجنة الاتحاد الاشتراكي في قريته ، وأنهم أحضروه هو وزملاء له في القطارات باستمارات سفر أو نحو ذلك للاحتشاد في استقبال الرئيس جمال عبد الناصر عند عودته من الخارج في مناسبة من المناسبات . وأن إقامتهم وطعامهم على حساب الدولة . وأن عليه هو وزملاؤه أن يهتفوا له طبقاً للشعارات المطبوعة والموزعة عليهم ، وأخرج لي من جيبه بالفعل ورقة أطلعني عليها فدهشت ؛ لقد كان مكتوباً عليها بحروف مطبوعة هذه العبارات : هتاف جماعي : " ناصر .. ناصر .. ناصر " ثم هتاف فريق : " فليحيا ناصر العروبة " ثم هتاف جماعي : " فليحيا بطل الثورة " .. " القائد البطل " .. " زعيم الأمة العربية " .. إلخ . أشياء من هذا القبيل ، وسالت : كيف يهتفون من هذه الورقة . فقال إن هذه الورقة لا تظهر فهي للحفظ فقط حتى لا ننسى الكلمات ، وأنه مُعَيَّن لكل جماعة منهم أربطة ، أول الصف أو الوسط، أو على رأس كل مجموعة يشير إليهم بالبدء كما يحدث في كورال الموسيقى وكورس المسرحيات .

كنت أظن الشعبية تتبع فقط من القلوب ، أو حتى من صور الأماني والوعود والأوهام والأكاذيب ، ولكني ما كنت أظن حتى تلك اللحظة أنها يمكن أيضاً أن تصنع وتؤلف تأليفاً وتوزَّع لها أوراق هتاف كأنها نوتة موسيقية للغناء .

ومع ذلك وهنا العجب : كيف استطاع شخص مثلي أن يرى ذلك ويسمعه ، وألا يتأثر كثيراً بما رأى وسمع ، ويظل على شعوره الطيب نحو عبد الناصر : أهو فقدان للوعي ؟ أهي حالة غريبة من التخدير ؟

جاءني ، يوم أن وقع رجال الثورة على بنود جلاء الإنجليز[1] بعض رجال الأحزاب السابقة وأطلعوني على بنود الوثيقة قائلين لي إنها نفس البنود والشروط التي سبق

([1]) لمزيد من التفاصيل حول معاهدة الجلاء راجع كتابنا " إنجازات عبد الناصر الكبرى من منظور سياسي " دار زهور المعرفة والبركة .

عرضها على مصر ورفضتها الأحزاب جميعاً . فمن بين هذه البنود شرط يبيح للإنجليز العودة إلى احتلال مصر إذا تعرَّضت المنطقة لأخطار الحرب كما أن السودان وبقاؤه مرتبطاً بمصر كان دائماً الشرط الأساسي لكل مفاوض على اختلاف الأحزاب .

وأذكر بالفعل أني كنت جالساً في مأتم للعزاء كان ذلك قبل الثورة بنحو عشرة أعوام فدخل مصطفى النحاس وأخذ يتكلَّم مع من معه بصوته المرتفع المسموع ويقول إن الصخرة التي كانت تتحطم عليها المفاوضات المصرية دائماً من أجل إجلاء الإنجليز هي السودان ، ولو سُمِحَ لنا بطرح مسألة السودان جانباً لتمَّ الجلاء منذ عشرينات هذه القرن . ولكن ما من سياسي في البلد كان يسمح لنفسه بذلك . وما كان البلد ليسمح له . ومضت الأعوام وجاءت الثورة وتركت السودان ووقَّعت الوثيقة مع الإنجليز على الجلاء المشروط أيضاً بعودتهم .

ففيم إذن كان انتظار مصر ثلاثين عاماً ؟

وها هو ذا مشروع السد العالي سيكون – كما تصفه لنا الثورة – فاتحة خير وبركة . وهو مشروع كان موجوداً في أدراج حكوماتنا السابقة . ويبدو أنه فحص ولم ينفذ إما لضخامة تكاليفه ، وإما لأسباب أخرى لم تكشف لنا بوضوح ولم تتم مناقشته مناقشة علنية مفتوحة ليعرف الناس الرأي وضده ، ولكن الثورة تبنته فآمنا به جميعاً . ولم نسمع بأحد عارضه إلا مهندس كبير هو د. عبد العزيز أحمد ، ويظهر أنه أحس بغضب الثورة عليه فغادر البلاد وعندما فاز في غيبته بجائزة الدولة التقديرية في العلوم ، وقد اختاره لها أكابر علماء البلد من زملائه وتلاميذه رفضت الثورة منح الجائزة له ،ولم تعرف بشكل مُفَصَّل أسباب معارضته للمشروع؛ لأن الآراء المعارضة حتى في المسائل العلمية لا تأخذ حظها من النشر .

فأسلوب الثورة لم يقم على أساس مناقشة الأشياء وهو الأسلوب الذي كنَّا نعرفه في مصر من أيام ثورة ١٩١٩ بل كنا نعرفه قبل ذلك . لم نكن نناقش أي مشروع تؤيده

الثورة ، وربما لم نكن نستطيع ، ولعلها هي لم ترد أن تشجعنا على ذلك . ولذلك بادرت هي للفور تسعى إلى تنفيذ مشروع السد العالي واعتمدت في تنفيذه على أمريكا بالطبع ؛ فأمريكا هي التي وقفت بجوار الثورة عند قيامها وأسكتت الإنجليز المرابطين في القناة ، وإلا لكانوا جاءوا بدباباتهم وطائراتهم وأجهضوا الثورة في نصف ساعة ، ولكن العلاقات بين الثورة وأمريكا ما لبثت أن توتَّرت للأسباب المعروفة [1] وكان أن قال وزير خارجية الولايات المتحدة مستر دالاس ذلك القول الذي أغضب عبد الناصر . فكان رد الفعل الانفعالي المعتاد وصدر تأميم القناة [2] مع دفع تعويضات . وفي وقت لم يبق سوى أقل من عشرة أعوام لانتهاء امتياز هذه القناة ، وعودتها قانوناً إلى ملكية مصر بدون دفع أي شيء ، وكانت مصر تعد نفسها بالفعل لاستلام القناة ، وبعد التأميم قامت القيامة المعروفة . ولا أنس خطبة الجمعة المشهورة التي أعلن فيها عبد الناصر أنه لم يكن يظن أن بريطانيا ستشترك حقاً في العدوان على مصر مع إسرائيل لأن ذلك في نظره يعرضها لغضب العرب ، وأنه لم يعرف باشتراكها إلا عند سماعه أزيز الطائرات البريطانية ، فصعد إلى سطح منزله ليتأكد من ذلك بنفسه . قلت في نفسي : صح النوم .. كيف كان رئيس دولتنا يجهل هذا الأمر ، وأنا الذي ما ارتبت لحظة في أن بريطانيا جادة في الحرب منذ قرأت وسمعت البرقيات والإذاعات تتحدث عن اجتماعات إيدن بقواده ،وإصدار الأوامر إلى السفن الحربية في مالطة والقاعدة الجوية في قبرص بالاستعداد ، بل إن بعض السفن قد أعدت فعلاً وتحركت بالجنود في اتجاه الشرق الأوسط لعل عبد الناصر قد فهم أن هذا كله من قبيل التهويش !

([1]) لمزيد من التفاصيل حول علاقة أمريكا بعبد الناصر راجع كتابنا " أمريكا وعبد الناصر من التحالف للعداء " دار زهور المعرفة والبركة .

([2]) لمزيد من التفاصيل حول تأميم القناة راجع كتابنا " إنجازات عبد الناصر الكبرى من منظور سياسي " دار زهور المعرفة والبركة .

إن الإنسان أحياناً يرى الأشياء والأشخاص من خلال طبيعته فهل كانت طبيعة عبد الناصر هي التهويش ؟ إذا راجعنا ظروف حرب ١٩٦٧ [١] ونشر جيوشنا كلها في سيناء بشكل استعراضي هائل ، وتكديسنا هناك لكل دباباتنا الجديدة والقديمة ، وكل جنودنا المدربين وغير المدربين ، تضخيماً للعدد وتكبيراً للمظهر وإرهاباً بالمنظر ، دون أن تكون هناك نية هجوم حقيقي ، نجد أن المقصود هو الوصول إلى الهدف بالتهويش وليس بالعمل الفعلي . إن عبد الناصر يريد السلام ويهوش بالحرب . في حين أن إسرائيل تريد الحرب وتهوش بالسلام وبذلك خدعت العالم ، وجعلت نفسها في صورة الأمة الضعيفة المسالمة المهدَّدة بعدوان دولة تفوقها عدداً وتجعجع بالحرب لتلقى بها في البحر ، ومن يهوِّش بالسلام ويريد الحرب يكسب الحرب ، ومن يهوِّش بالحرب ويريد السلام يخسر الحرب ويخسر السلام وهذا كان حالنا .

كذلك استمعنا في خطبة الجمعة المشهورة أيضاً الخبر الذي أعلنه الرئيس عن نجاحنا في سحب جيوشنا من سيناء عام ١٩٥٦وكانت قد اندفعت إلى هناك عند بدء العدوان الثلاثي ، فلما رأى الرئيس أن الهزيمة في الأفق أصدر أمره في الحال بالانسحاب ، وقد تمَّ على أحسن وجه وحمد الله وحمدناه معه .

ويظهر أن رئيسنا قد حفظ هذه الخطة حفظاً ، وكررها بحذافيرها في حرب ١٩٦٧ ذلك أنه ما كادت الهزيمة تقع فيها حتى بادر بإصدار أمر الانسحاب المعهود ، ولكن شتان بين الحالين والظرفين والوضعين ، ففي العدوان الثلاثي كان جيشنا في بداية الزحف فأمكن سحبه ، وكانت الحملة مركَّزة على بور سعيد وكانت أكبر دولتين في العالم (أمريكا وروسيا) متَّفقتين على ضرورة وقف الحملة في الحال وانسحاب المعتدين ، وكانت هذه أول مرة في نظر العالم المتعجب تتفقان على شيء ، وهدَّدتا معاً تهديدهما العنيف المعروف ، فلم يجد المعتدون بداً من التراجع على الفور ،

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول حرب ١٩٦٧ راجع كتابنا " هزيمة يونيو ١٩٦٧ وتحديد المسئولية " دار زهور المعرفة والبركة .

وأزيلت آثار العدوان بسرعة لا تخطر على البال ، ولكن ما كل مرة تسلم الجرَّة ، وكلمة إزالة آثار العدوان ليست مما يحفظ حفظاً ويتحقَّق بسهولة في كل الأحوال ؛ ففي العدوان الثلاثي كانت الصورة مختلفة ؛ كانت بورسعيد قد سقطت في أيدي المعتدين من أول وثبة وانتهى أمرها ، وكانت الإسماعيلية في متناول المخالب والأنياب ، ولكن الفزع من الأسدين (أمريكا وروسيا) جعل المخالب والأنياب ترتد عن الفريسة (مصر/ عبد الناصر) وتولِّي الأدبار، ونهضت عندئذ الفريسة التي نجت بمعجزة وأخذت تصيح في الآفاق : انتصرنا .. انتصرنا .. وتزعق الأناشيد في الأبواق ،مشيدة بمعركة تماثل معركة ستالينجراد [1] قيل أنها في بورسعيد ، وقد لا يكون في ذلك ضرر ولا بأس فما من عيب في رفع الروح المعنوية للشعب ، ولكن الضرر هو أن يكون الغرض هو خداع الناس ، وليس رفع الروح ، إن التلاعب بكلمة النصر لنُخْفي عن الشعب أسباب عجزنا عن الدفاع عن أرضنا .

وقد ظهرت نتيجة ذلك فيما بعد ؛ فقد كان من جرَّاء خداعنا لأنفسنا وتصديقنا للأكاذيب التي نذيعها عن أنفسنا وللتهاويل التي نضعها ونطلقها في الإذاعات والأناشيد والأغنيات أن قمنا ننشط للمغامرات الحربية ؛ فما كادت قناة السويس تستقر في أيدينا بأعجوبة في عام ١٩٥٦ ونرى ذهبها يلمع في أكفنا حتى مضينا نُلْقِي به على تلال اليمن ، وكانت قبائل اليمن التي نريد استمالتها إلى جانبنا لا ترضى بغير الذهب ، فكانت تُلْقَى إليهم من طائراتنا الزكائب الممتلئة بالذهب كما ترمى من الجو لجيوشنا أطنان التموين والغذاء من صفائح الجبن الفاخر والمعلبات واللحوم والفواكه .. وهل استملنا مع ذلك اليمن بِذَهَبِنا ؟ قيل إن القبائل حتى الموالية لنا ، كانت تأخذ ذَهَبَنَا بالنهار وتترصَّد لضباطنا وجنودنا في الليل فتصطادهم وتجز رءوسهم وتبيعها

---

(1) معركة ستالينجراد هي إحدى أهم المعارك الكبرى والفاصلة التي شهدتها الحرب العالمية الثانية .جرت في مدينة ستالينجراد خلال الحملة هتلر على الاتحاد السوفيتي، واستمرت الحرب حوالي ٦ أشهر وكانت هزيمة ألمانيا فيها نقطة تحوُّل في مسار الحرب العالمية الثانية ونهاية هتلر .

للطرف الآخر غير الموالي ، ثم بعد ذلك انتهى الأمر باليمن كلها أن سارت مخالفة لمصر في اتجاهها السياسي .

إن تاريخ حرب اليمن [1] سيكتب يوماً في صفحات صادقة لنعرف ما جرى هناك، وماذا كانت النتيجة التي خرجنا بها ؟ إن من المؤكد الآن هو أنه بالإضافة إلى الأرواح التي ضاعت من جيوشنا وتقدَّر فيما يقال بعشرات الآلاف من الرجال ، فإن المعروف أيضاً أن غطاء الذهب الذي نملكه قد ضاع بأكمله في هذه الحرب الضائعة.

ولكن هل اكتفينا بحربين وهزيمتين ؟ لا .. لا بد من الثالثة ، وكانت حرب وهزيمة ١٩٦٧ أي أنه في مدة نحو عشرة أعوام من سنة ١٩٥٦ إلى سنة ١٩٦٧ قد اسْتَهْلَكْنَا، أو على الأصح ، اسْتَهْلَكَتْنَا ثلاث حروب بثلاثة هزائم ، لا ندري بالضبط كم كلفتنا من آلاف الأرواح ، ولا كم من آلاف الملايين من الجنيهات إنما الذي ذُكر ونُشر أن ما خسرناه في الحروب الأخيرة ، وحدها يقدَّر بنحو أربعة آلاف مليون جنيه (أربعة مليارات) أي كما قيل أيضاً أن هذا المبلغ لو انْفِق على قُرَى مصر البالغ عددها أربعة آلاف قرية لكان نصيب كل قرية مليون جنيه، تَخْلِقُهَا خَلْقاً جديداً وترفعها إلى مستوى قُرى أوربا ، ولكن قُرَانا المصرية بقيت على حالها المحزن التعس وفلاحُنا المسكين بقي على جهله ومرضه وفقره وراحت الملايين التي جاءت من عَرَق مصر لتذهب في الوحل . فوقها هزيمة منكرة . بل فوق الهزيمة المنكرة " [2] .

ويختم توفيق الحكيم شهادته بقوله : " لم يكن فينا رجل يقول أو يستطيع أن يقول : كفوا عن ترديد كلمة النصر هذه التي نطلقها بغير وعي ولا معنى على كل شيء يصادفنا ، إن البلاد التي انتصرت فعلاً الانتصارات العسكرية أو العلمية أو

---

(1) لمزيد من التفاصيل حول حرب اليمن راجع كتابنا " إنجازات عبد الناصر الكبرى من منظور سياسي " دار زهور المعرفة والبركة .

(2) توفيق الحكيم " عودة الوعي " دار الشروق الطبعة الثانية ص ٤٨- ٥٩ بتصرف .

الحضارية لم تكثر هكذا ولم تسرف في ترديد هذه الكلمة في كل موضع وبمناسبة وغير مناسبة بلا حياء أما والهزائم قد توالت فما هي دواعي الاستمرار فيما قد يثير السخرية ، إلا أن يكون هو الاطمئنان إلى أن الوعي العام مفقود ، أتراه كان تحطيماً مقصوداً لوعي مصر ؟

إن الكتب المدرسية في أيدي الشباب تضخم أمجاد الثورة تضخيماً تشتم منه رائحة التزييف والملق ، وتترك في ظلام اللاوعي صفحات مشرقة لعهود أخرى .

ولكننا نحن كهول الثورة ما عذرنا ؟ ما الذي خدَّر عقولنا ؟ فينا من يقول إن إجراءات عنيفة قد اتُّخِذَت لمنع تكوين رأي عام حر يناقش ويعارض ، وإنها الرقابة المشددة على كل ما ينشر ويذاع ثم المعتقلات لمن يشتبه في رأيه المخالف مع ألوان من التعذيب بلغت فظاعتها مبلغ الأساطير ، وفينا من يقول إن من أفلت من الاضطهادات وقع في شرك الأوهام ؛ فالحقائق محجوبة ، والرؤية الصحيحة للأشياء ممنوعة ، ولم يبق أمامنا إلا اتجاه واحد وصورة واحدة هي ما ترسمه لنا سلطات محفوفة بدوي الطبول سحرونا ببريق آمال كنا نتطلع إليها من زمن بعيد ، وأسكرونا بخمرة مكاسب وأمجاد فسكرنا حتى غبنا عن الوعي .

إن عبد الناصر أهدى إليَّ كتابه " فلسفة الثورة " عند صدوره ، لقد كان بالإهداء عبارة فيها إشارة إلى كتاب " عودة الروح " مطالباً بعودة لروح أخرى في عهد الثورة ، ولم يَدُر بخلدي وقتئذ أن ما سوف تحتاج إليه مصر بعد عشرين سنة من عمر الثورة ليس " عودة الروع " ولكن " عودة الوعي " .

وهو كتاب لن أكتبه أنا ، لا .. لا شيخوختي وضعف صحتي هما وحدهما السبب ، بل لأن من يستطيع ذلك هو كاتب آخر من جيل آخر ، له من الحرية وعدم الارتباطات العاطفية ما يمكنه من الرؤية الواضحة والحكم المتثبت على عهد اختلطت فيه حقائق الأشياء إلى حد كان يرفع فيه الشعار ويعمل بنقيضه خلف الستار . فكلمة

حرية مثلاً وعهد الحرية تجري على الألسنة في الخطب والأغاني والأناشيد ، وما من كلمة حرة واحدة لا يريدها الحاكم يمكن أن تخرج من الصدور ، وإلا دخل صاحبها السجون ، لقد نجح الحاكم في أن يدمج مصر كلها فيه ، وأن يقنع مصر البالغة من العمر أكثر من خمسة آلاف عام أن عمرها هو عمر الثورة ونظامها ، وأن لا عمر لها قبل ذلك ، ولا ذكر بعد ذلك يستحق الذكر .

هذه العملية البارعة لضغط مصر العملاقة ووضعها في علبة الثورة ونظامها ، خنق مصر ، وأفقدها الوعي بحقيقة حجمها الهائل عبر التاريخ والأنظمة التي اجتازتها كلها وبقيت مصر . إن معنى عودة الوعي لمصر هو استرداد حريتها في الحكم " [1]

واستجابة لدعوة الحكيم فقد حاولت في سلسلة " فصول من تاريخ مصر المعاصر" وقد امتلكنا حرية التعبير وحرية المعلومات أن أعيد دراسة وتقييم الحقبة الناصرية بالعقل والحقيقة ومراعاة المصلحة العامة لا بالهوى والأكاذيب والمصلحة الخاصة .

شهادة نجيب محفوظ

يقول نجيب محفوظ مخاطباً عبد الناصر على لسان مصطفى النحاس : " أغفلت الحرية وحقوق الإنسان ، ولا أنكر أنك كنت أماناً للفقراء ولكنك كنت وبالاً على أهل الرأي والمثقفين وهم طليعة أبناء الأمة ، انهلت عليهم اعتقالاً وسجناً وشنقاً وقتلاً حتى أذللت كرامتهم وأهنت إنسانيتهم ومحقت إيجابياتهم وخربت بناء شخصياتهم والله وحده يعلم متى يعاد بناؤها ، أولئك الذين جعلت منهم ثورة ١٩١٩ أهل المبادرة والإبداع في شتى المناشط السياسية والاقتصادية والثقافية، بل أفسد الاستبداد عليك أجمل قراراتك، انظر كيف أفسد التعليم ، وتفسخ القطاع العام ، وكيف قادك التحدي للقوى العالمية إلى الهزائم المخجلة والخسائر الفادحة ، ولم تفد من الرأي الآخر ولم تتعظ بتجربة محمد علي ، وماذا كانت النتيجة ؟

دوي وجلجلة وأساطير فارغة تقوم على تل من الخرائب .

([1]) توفيق الحكيم " عودة الوعي " دار الشروق ص ٧٤ ، ٧٥ .

ليتك تواضعت في طموحك ، ليتك عكفت على إصلاح وطنك وفتح نوافذ التقدم له في شتى مجالات الحضارة . إن تنمية القرية المصرية أهم من أن تبني ثورات العالم ، إن تشجيع البحث العلمي أهم من حملة اليمن ، ومكافحة الأمية أهم من مكافحة الإمبريالية العالمية ، وا أسفاه لقد ضيَّعت على الوطن فرصة لم تتح له من قبل، فلأوَّل مرة يحكم ابن من أبناء البلاد دون مناوئ من ملك أو مستعمر، ولكنه بدلاً من مداواة ابن وطنه المريض دفع به إلى مباراة عالمية وهو ينوء بأمراضه فكانت النتيجة أن خسر البطولة وخسر نفسه " [1] .

شهادة لويس عوض

يقول لويس عوض [2] : " أنا لست ممن ينظرون إلى ثورة عبد الناصر ونظامه نظرة رومانسيَّة فيقولون أنهما لم يفعلا إلا خيراً ، بل أنا ممن يعتقدون أنهما مع ما جاءا به من خير كثير قد دمَّرا بعض أسس المجتمع المصري الراقية التي بناها المصريون خلال المائتي سنة الأخيرة نتيجة احتكاكها المباشر بالحضارة الأوربيَّة: كمبدأ القوميَّة المصريَّة ، ومبدأ الحق الطبيعي ، وكالحقوق والحريات الديمقراطيَّة : فصل الدين عن الدولة وفصل السلطات وسيادة القانون وسيادة الأمَّة على الحكومة وحرية الاجتماع والتفكير والتعبير والعمل والاختيار ، وحرية التنظيم والتمثيل والتوكيل السياسي إلخ وهكذا زعزعت الناصريَّة ، بعد خروج عبد الناصر منتصراً في حرب السويس وبروزه كزعيم للعالم العربي ، إيمان المصريين بهويتهم المصريَّة وبشخصيتهم المصريَّة ، ومحت اسم مصر ودعت المصريين إلى فقدان أنفسهم في كيان سياسي أكبر هو كيان الأمَّة العربيَّة الممتدة من الخليج إلى المحيط، وبعد أن كانت العروبة في ١٩٥٣، ١٩٥٤ أيام " فلسفة الثورة " مجرد دائرة من الدوائر الثلاث التي تقع مصر

---

(1) نجيب محفوظ " أمام العرش " مكتبة مصر ص ١٩٨ ، ١٩٩ .

(2) لويس عوض (١٩١٥- ١٩٩٠) أستاذ الأدب الإنجليزي وأحد كبار الكتاب والمفكرين المصريين في النصف الثاني من القرن العشرين .

في تقاطعها وتستخدمها رصيداً لقواتها ولقوة المنطقة العربيَّة وأصبحت مصر مركز دائرة واحدة هي الوحدة العربيَّة . كذلك نسفت الناصريَّة أكثر الحقوق والحريات الديمقراطيَّة.

وبالمثل اقتلعت الثورة الناصريَّة بحلٍّ كافة التنظيمات السياسيَّة ، وتحريم كافة التجمعات المنظمة ، وتجريم كافة التجمعات غير المنظمة ، وإقامة حياتنا السياسيَّة على مبدأ تحالف قوى الشعب العاملة داخل وعاء واحد تسيطر عليه الدولة ، هو هيئة التحرير ثم الاتحاد القومي ثم الاتحاد الاشتراكي ، اقتلعت الثورة الناصريَّة حق الأفراد والجماعات والطبقات في التفكير السياسي وحريتها في العمل السياسي، وبذلك جرَّدت الثورة المصريين من حقوقهم السياسية وعزلت الشعب المصري برمته عزلاً سياسيّاً إلا من سار في مسيرتها بالولاء الشخصي . فقد كانت فلسفتها مبهمة وبرامجها غامضة ومناهجها متغيرة الظروف ، وبذلك ألغت الثورة الفرق بين الدولة والحكومة فغدت الدولة هي الحكومة والحكومة هي الدولة ، وألغت الفرق بين الشعب ووكلائه المعبرين عن إرادته لأنها جرَّدت الشعب من حقِّ توكيله لممثليه السياسيين المختارين له قبل الثورة ، وأنكرت التعارض بين مصالح الطبقات الخ .

كذلك أعلن بعض الثوَّار أن " القانون في أجازة " ، والحقيقة أن نظرية القانون نفسها قد انهارت فتحول القانون من معيار موضوعي واضح يستمد من العرف العام ومن الضمير العام ومن المصلحة العامة إلى قرارات وإجراءات فرديَّة تقديريَّة تتخذ مستمدة من الظروف الموقوتة والاحتياجات الطارئة . وابتكر سوفسطائيو الثورة نظرية الفقه الثوري والشرعيَّة الثورية ليبرروا هذه الإجراءات والقرارات الاستثنائية بدلاً من أن يبصروا الحاكم بأن الفقه الثوري والشرعيَّة الثوريَّة معناهما وضع فلسفة تشريعيَّة جديدة موضوعيَّة المعايير مستمدة لا من سلطات الحاكم التقديريَّة ولكن من العرف العام والضمير العام والمصلحة العامة للطبقات التي قامت الثورة لتردَّ لها أهليتها القانونيَّة وللغايات التي قامت الثورة لتحقيقها.

أما حرية التعبير فقد أصبحت عبارة بلا معنى في مختلف دساتير النظام الناصري بعد تحريم التنظيمات السياسية وتجريمها وبعد تأميم الصحافة ودور النشر ومختلف وسائل الإعلام وتتبيعها إما للاتحاد القومي – الاشتراكي وإما للسلطة التنفيذيَّة مباشرة (وزارة الإرشاد – الإعلام) .

وبتأليه الدولة اندمجت فيها السلطات الثلاث التنفيذية والتشريعية والقضائية ومعها السلطة الرابعة (الصحافة) وغدت الأذرع الأربع للزعيم الذي تجسدت فيه إرادة الدولة. بل إن وظائف الجيش والبوليس اختلط بعضها الآخر بعد إعلان عضوية الجيش في تحالف قوى الشعب لأنه غدا بهذا مسئولاً مسئولية رسمية مباشرة عن حماية النظام الداخلي لأنه طرف من أطرافه . " (١)

ويختتم د. لويس عوض تقيمه لحكم عبد الناصر قائلاً : " ولأن عبد الناصر لم يُصَفِّ أعداء ثورته في الداخل وثبوا عليه حين وثب عليه الاستعمار من الخارج فأجهزوا عليه وعلى نظامه في ١٩٦٧ . وهو لم يُصَفِّ أعداء ثورته في الداخل لأنه لم يكن يعرف من هم على وجه التحديد بسبب فقره النظري وبسبب احتقاره أو خوفه من أصحاب النظريات وإسرافه في الاعتماد على الفطانة والإلهام وقد كان عنده منهما شيء كثير . ولكن الكثير نفسه غير كاف في أهم المواقف . كان يحسب أن أعداء ثورته هم الباشوات والبكوات وحدهم ، ولأنه ابن شرعي لطبقته المتوسطة الصغيرة ظنَّ أن مشكلات مصر تحل بتحويل كل المصريين إلى طبقة متوسطة صغيرة . ولأنه ابن لطبقته المتوسطة الصغيرة فهو لم يتشكك قط في قداسة الملكية الفردية ثم ارتكب الإثم الأكبر بأن جعل الدولة تنافس الأفراد في الملكية ، بعد أن اكتشف أنه بغير التنمية الضخمة لن يوزع إلا فقراً . ولأنه ابن شرعي لطبقته المتوسطة الصغيرة أدرك بغريزته ، وربما بتوجيه من العارفين ، بأنه إذا لم يصدر ثورته إلى الخارج ، فسيضطر أن يعمقها في مصر يوماً بعد يوم. وحين رفض رفضت سوريا قبول صادراته الفكرية

---

(١) د. لويس عوض " أقنعة الناصرية السبعة " مرجع سابق ص ١٦٠ ، ١٦١ .

والاجتماعية ، عمق ثورته في مصر بالميثاق ، ولكنه لم يرسخها بل عاد إلى التصدير حتى يتجنب مزيداً من التعميق . لقد كانت القومية العربية ثم الاشتراكية العربية مهربة الموضوعي من مواجهة الفلاحين الحفاة ، قوام الريف المصري ، والعمال الكادحين ، قوام المدينة المصرية ، وملايين الفقراء الضائعين الذين لا ينتمون إلى ريف أو مدينة .

لهذا ترك عبد الناصر شعبه بعد ثمانية عشر عاماً من قيادته كما تسلمه من فاروق: نسبة الأميين فيه ٧٥ % ولهذا ترك عبد الناصر شعبه كما تسلمه من فاروق: متوسط الدخل القومي فيه نحو ٥٠ جنيهاً سنوياً للفرد الواحد ومتوسط الأمراض فيه نحو ثلاثة أمراض للفرد الواحد .

لهذا أمكن ضربه ولهذا يجري الآن ضرب ثورته على قدم وساق . البورجوازية تقول فيه : هذا كان عاقاً من أبناء طبقتنا . والبروليتاريا تقول فيه : هذا ليس ابناً من أبنائنا ولكنه كان يحسن الحديث إلى الفقراء "[1] .

شهادة فاروق جويدة

ويقول فاروق جويدة [2] وهو ابن من أبناء ثورة يوليو، مقيِّماً فترة حكم عبد الناصر :" وجد شباب الثوار أنفسهم أمام وطن كبير حملت لهم الأقدار وربما المصادفة مسئولية حكمه ، وهم في الحقيقة غير مؤهلين بحكم السنِّ والتجربة لكي يخوضوا تجربة في الحكم بهذه الضخامة . أن البلد الذي أصبحوا حكاماً له يملك تراثاً طويلاً من الحكم ويضم مؤسسات تشريعية وتنفيذية لها رصيدها وتجاربها الثرية ، كما أنه شهد تجربة ليبراليَّة تحمل بشائر طيبة للمستقبل تساندها صحافة وأحزاب ومناخ ثقافي يجعل من مصر تجربة رائدة بكل المقاييس في هذا الزمن.

([1]) د لويس عوض " أقنعة الناصرية السبعة " مرجع سابق ص ١٦٨ - ١٧٠ .

([2]) فاروق جويدة شاعر كبير وهو من الأصوات الشعرية الصادقة والمميز في حركة الشعر العربي المعاصر.

ووجد ثوار يوليو أنفسهم ذات ليلة يحكمون أقدم دول العالم تاريخاً ، وأكبر دولة عربية وواحدة من الدول المحوريَّة بكل ثقلها السياسي إقليميّاً وعالميّاً وبجانب هذا كله فإن هذه الدولة كانت تعيش تجربة حضاريَّة متفردة عن المنطقة كلها منذ ما يقرب من قرن من الزمان اقتربت فيها من روح العصر بكل نماذجه الحضاريَّة ابتداءً بدار الأبرا وانتهاءً بجامعة القاهرة مع جيش عصري متطور ، وحياة ثقافية رفيعة في فنونها ، راقية في أذواقها ، مترفعة في غايتها ، ومع الثراء الحضاري في الدولة بكل مؤسساتها كانت التجارب والخبرات المحدودة في سلطة القرار (لدى لجنة قيادة الثورة، ومن آل الحكم إليه) .

ومن هنا كان هذا التحدي الصارخ من سلطة القرار ورفضه الشديد لكل مقوِّمات الدولة دون مراعاة لما ينبغي أن يبقى ، وما يجب أن يزول ، وبدت الرغبة في التغيير في بعض الأحيان رغبة في تدمير كل شيء ابتداءً بالناس ، وانتهاءً بالأشياء، ولعل السبب في ذلك كله غياب الجانب الفكري في بدايات الثورة مما جعلها تتعامل مع الأحداث والمواقف بصورة عشوائية في أحيان كثيرة ينقصها الفهم والوعي والحكمة .

وكانت الأدلَّة التي تثبت هذا الاستنتاج كثيرة :

سقطت أجيال كاملة أبعدتها الثورة تماماً رغم أنها قدمت عطاء سخيّاً لهذا الوطن في مجالات الحياة ، وإذا كان هذا الإجراء له ما يبرره في العمل السياسي ، فماذا يُقال عن مجالات أخرى في الاقتصاد ، والعمل العام ، والأجهزة الإداريَّة ؟

وتم استبعاد هذه الأجيال وهي في كامل لياقتها الذهنيَّة والفكريَّة وقدرتها على العطاء، وفرضت ظروف إبعاد هؤلاء أن تحل محلهم وجوه جديدة وللأسف أن هذه الوجوه التي سميت في ذلك الوقت أهل الثقة ، كان الكثيرون منهم يفتقدون القدرات والمواهب مما جعلهم عبئاً على العمل العام ، وهنا انتشرت جيوش أهل الثقة وتم استبعاد أهل الخبرة ، وشملت المحاكمات آلاف البشر وطالت الأبرياء وغير الأبرياء

ولهذا يخطئ من يتصور أن التغيير هو بالضرورة نحو الأفضل إنه في أحيان كثيرة يحملنا للوراء .

تم تخريب تراث مصر وقصورها وبيوت أثريائها في هجمة شرسة لا أحد يعرف حتى الآن أين ذهبت ، وإلى أي الأطراف تسربت .. وقامت لجان الحراسات والمصادرة بأكبر عملية نهب لتراث مصر في فترة كان كل شيء فيها قد اختفى ، حدث هذا في مصر أم الدنيا بينما بقيت كل ثروات روسيا حتى الآن رغم أن ثورة يوليو كانت بيضاء ، وكانت ثورة روسيا بلون الدم .

كان أخطر الإجراءات التي شهدتها البلاد في أيام الثورة الأولى هو إغلاق أبواب الديمقراطيَّة ، وهو أخطر إجراء في تاريخ مصر الحديث حيث جاءت بعده توابع كثيرة ابتداءً بانتهاك حقوق الإنسان المصري ، وانتهاءً باستباحة ممتلكات الناس مروراً على مصادرة كل شيء ابتداءً بالفكر وانتهاء بالممتلكات .

كان الخلاف حول قضية الديمقراطية في مصر هو بداية الانقسام الحاد بين الثوار، ولو أن أنصار الديمقراطية (ويمثلهم محمد نجيب وخالد محيي الدين ويوسف صديق) في هذا الانقسام انتصروا لكان لمصر شأن آخر في ظل تجربة ديمقراطيَّة كانت تستحقها بجدارة .

لا نستطيع أن نسقط صدق نيات الضباط الأحرار عندما قاموا بثورة يوليو من حيث الأهداف والغاية، ولكن ما حدث بعد ذلك كان مجرد صراع على السلطة سرعان ما ألقى بنا إلى متاهات مراكز القوى والنفوذ والسجون، والمعتقلات والاتحاد الاشتراكي حيناً والقومي حيناً آخر والانتهازيين في كل الأحيان.

النقطة الثانية التي يتوقف عندها الإنسان وهو يتأمل الأحداث ويقرأ الشواهد أن المصادفة لعبت دوراً كبيراً في نجاح ثورة يوليو ، ولولا الساعتان اللتان سبق بهما

يوسف صديق زملاءه (١) واستولى على قيادة الجيش لكانت هناك أحداث أخرى ، ساعتان من الزمن غيرتا مسيرة الزمن والتاريخ .

أما النقطة الأخيرة التي توقفت عندها محاولاً رصدها من البداية فهي قصة الصراع على السلطة ، ويبدوا أنه يبدأ مبكراً ومع الساعات الأولى لنجاح الثورة .

ولهذا كان من الضروري أن يختفي محمد نجيب بكل ما وصل إليه من شعبيَّة في الشارع المصري ، وقصة اختفاء نجيب مازالت حتى الآن مثار شكوك كثيرة لأن الرجل لم يستحق كل هذا الذي لحق به وأصابه ابتداء بخروجه من السلطة وانتهاءً بما تعرض له بعد ذلك .

وكان من الضروري أن يختفي خالد محيي الدين ، ويوسف صديق لأنهما أصحاب فكر ، ولم تكن أوليات الثورة تعطي أهمية كبيرة لهذا الجانب ، وإن بقيت بعد ذلك تضعه في آخر القائمة .

ثم اختفى البغدادي ، وكمال الدين حسين ، وفي مرحلة لاحقة اختفى زكريا محيي الدين ، ولم يكن في الساحة غير أنور السادات وعبد الحكيم عامر ، وانتهت قصة عامر مع نكسة ٦٧ ليرث أنور السادات ثورة يوليو كلها رغم أنه كان أبعد الثوار عن مناطق الصراع ، وربما كان ذلك تأكيداً لذكائه الشديد .

حيث بقي حياته تقريباً بعيداً عن مرمى نيران الصراع بين رفاق السلاح حتى جاءته الفرصة مع رحيل عبد الناصر .

من هنا يمكن أن يُقال إن الثورة أكلت أبناءها واحداً واحداً .

اجتمعوا في البداية على محمد نجيب وشاركوا في عزله ، ثم بعد ذلك كان مسلسل سقوط الآخرين ، ولم يتعلم أحد منهم الحكمة من رأس الذئب الطائر." (١)

---

(١) الحقيقة أنها ساعة واحدة وليست ساعتين فقد كانت ساعة الصفر الثانية عشر ليلة ٢٣ يوليو ، ولكن يوسف صديق أخطأ وخرج بقواته الساعة الحادية عشر ، ولقد أنقذ هذا الخطأ ثورة يوليو فتمَّ القبض على القيادات العسكرية قبل أن تأمر بالقبض على الضباط الأحرار وقد عرفت أسماءهم (المؤلف) .

ويلاحظ أن جويدة يحرص على عدم ذكر اسم عبد الناصر في حديثه عن الصراع على السلطة ، ونسبة أخطاء حكم عبد الناصر للثورة وذلك يرجع لسببين في رأيي :

السبب الأول : الهجمة الشرسة التي واجهها فاروق جويدة عندما بدأ يفتح ملفات ثورة يوليو عام ١٩٩٩ من أهل ثقة عبد الناصر ، والجهلة بحقائق الأمور .

والسبب الثاني : هو حب جويدة لعبد الناصر فهو من ذلك الجيل الذي نشأ وترعرع في ظل النظام الشمولي الذي لم يروا فيه صورة لزعيم إلا عبد الناصر ولم يسمعوا فيه إلا التغني بأمجاده ، ولم يدرسوا من تاريخ العظماء في العصر الحديث إلا سيرة الزعيم الخالد .

والعجيب أن عبد الناصر هو العامل المشترك الوحيد في كل صراع على السلطة، فهو الذي دبَّر مؤامرة إضراب عمال النقل التي نفذها طعيمة والطحاوي والصاوي ؛ ليطيح بمحمد نجيب الرئيس الذي كسب للثورة تأييد العسكريين والمدنيين وقبل فاروق أن يتنازل له عن الحكم ويرحل ، كما أن عبد الناصر هو الذي تخلَّص من كل أعضاء مجلس قيادة الثورة المؤيدين لنجيب والمعارضين له بمساعدة عبد الحكيم عامر القائد العام للقوات المسلحة ، والذي خاض معه صراعاً على السلطة بدأ عام ١٩٦٢ وانتهى بنكسة يوليو ورحيل عبد الحكيم .

شهادة د . جمال حمدان

شهادة د. جمال حمدان [٢] على ثورة يوليو ورجالها : " بعد عصر المَلَكيَّة انتقلت مصر المعاصرة بدرجة أو بأخرى إلى النموذج الشرقي الاشتراكي الشمولي بنظام حزبه الواحد الديكتاتوري المطلق . سواء كنَّا اشتراكيين بالفعل كما جادل البعض ، أو انتقلنا من الإقطاع عبر مرحلة شبه اشتراكيَّة إلى الرأسماليَّة كما نظر البعض الآخر ،

([1]) فاروق جويدة " من يكتب تاريخ ثورة يوليو " مرجع سابق ص ٨٩ – ٩٤ .

([2])جمال حمدان(١٩٢٨– ١٩٩٣) أحد أعلام الجغرافيا المصريين وصاحب الكتاب الشهير " شخصية مصر"

فالواضح أن مصر المعاصرة ، بينما استبقت جوهر النظام الاقتصادي الاجتماعي الطبقي بعد تطويره مع روح العصر نفسه قد أخذت من الاشتراكيَّة الاسم والواجهة أولاً وشكلاً ثمَّ مبرر الطغيان والحكم المطلق والشموليَّة ثانياً وأساساً.

ذلك أن من المؤسف أن النظام الذي ما قام إلا ليحقق للشعب العزَّة والكرامة التي حُرِم منها طوال تاريخه ، وكان شعاره التقليدي " ارفع رأسك يا أخي فقد مضى عهد الاستعباد " لم يُحَقِّق إلا عكس الشعار تماماً من الناحية العمليَّة . إذ لم يلبث أن انحرف ودخل في " عهد إرهاب " حقيقي ، فتورَّط في المصادرات والحراسات والاعتقالات بل والتعذيب بالجملة ، وتحوَّل بالتدريج إلى القهر والكبت والقمع وتنميط وقَوْلَبَة الفكر والعمل السياسي وَوَأْد الرأي الحر أو المعرض " بتجييش " الشعب كقطيع سياسي ، وذلك في تنظيم سياسي أحادي حديدي تحت اسم " وحدة قوى الشعب العاملة " أو تحت كنف ما سمي " كبير العائلة " المزعوم ولكن في الحقيقة لمصلحة قوى الحكم المسيطرة أو العميلة .

وفي إطار (أم إسار ؟) هذا القفص الحديدي الذي لم يسمح قط بالرأي الآخر أو المعارضة ، ثم " تعقيم " الشعب سياسيّاً ، فبينما لم يكن للشعب أي حق – رغم الشكل البرلماني الزائف – في النظام الإقطاعي قبل " الثورة " إلا حق المتفرج ، أصبح للشعب في ظل هذه " الثورة " الحق في أن يقول " نعم " وذلك كما وضعها ، ولكن بجدية تامة ، أحد الساخرين .

وهكذا تلخص التحوُّل الجديد في معادلة محددة ولكنها محزنة وهي : من دولة بوليسية " وسيطة " تحكمها الشرطة إلى دولة بوليسية " عصريَّة " يحكمها الجيش ، أو من مَلَكيَّة بوليسية إلى جمهورية عسكريَّة ، أو أخيراً من إقطاع مدني إلى إقطاع عسكري وبعبارة أخرى . فكما شخَّص بعض منظري العهد فيما بعد ، انتقلت مصر من " أوتوقراطية " (حكم الفرد) المَلَكيَّة إلى " مونوقراطية " (الديكتاتورية) الجمهورية في حين اختزل البعض الآخر الوضع كله في أنه مزيج من الفرعونية الجديدة والمملوكية الجديدة .

بل سرعان ما ظهرت أعراض عريضة وميول جامحة جانحة من مظاهر المَلَكيَّة بل والإمبراطورية ، كأنما هي مَلَكيَّة مؤقتة غير وراثيَّة غير مدنيَّة ، أي باختصار مَلَكيَّة مُقَنَّعَة . فهذا ، مثلاً ، تكاد تقول أول " إمبراطور جمهوري " وهذا أول " ملك جمهوري " وهذا .. وهذا .. إلى آخره ، وتلك جميعاً هي بكل وضوح أعراض وأمراض الحكم المطلق وحكم الفرد . " (١)

شهادة د. عبد الرحمن بدوي

يقول د. عبد الرحمن بدوي (٢) عن نظام حكم عبد الناصر: " ما من مستبد طاغية في العصر الحاضر إلا وادَّعى أن ما يصدره من قرارات وقوانين إنما هو لـ "مصلحة الشعب".

فباسم " مصلحة الشعب " صادر عبد الناصر الأموال والعقارات الزراعية والعمائر المشيدة والأسهم والسندات ، ثم بدَّد هذا كله على " مخابراته " ومغامراته المخفقة في اليمن وسائر البلاد وعلى المرتزقة في وسائل الإعلام ، وكل هذا في سبيل تمجيد شخصه " ومصلحة الشعب " من هذا كله براء .

وباسم " مصلحة الشعب " صادر حريات الناس جميعاً وأنزل بهم شتى صنوف العذاب ، واعتقل عشرات الآلاف من الأبرياء وكل هذا كان إشباعاً لأحقاده من أجل الاستئثار وحده بكل سلطة ولإذلال الجميع وإخضاعهم ، فأين هذا كله من " مصلحة الشعب " ؟!

وباسم " مصلحة الشعب " جرَّ البلاد إلى حربين مدمرتين (حملة السويس سنة ١٩٥٦ (٣) ، وحرب الأيام الستة في يونيو ١٩٦٧ (٤)) بسبب حماقته وخُرقة تصرفاته

---

(١) جمال حمدان " شخصية مصر " دار الهلال ج٤ ص ٦٠٦ ، ٦٠٧ .

(١) د. عبد الرحمن بدوي (١٩١٧- ٢٠٠٢) أحد أبرز أساتذة الفلسفة العرب في القرن العشرين وأغزرهم إنتاجا، إذ شملت أعماله أكثر من ١٥٠ كتابا تتوزع ما بين تحقيق وترجمة وتأليف .

(3) لمزيد من التفاصيل حول حرب السويس ٥٦ راجع كتابنا " إنجازات عبد الناصر الكبرى من منظور سياسي " دار زهور المعرفة والبركة .

(4) لمزيد من التفاصيل حول حرب الأيام الستة ٦٧ راجع كتابنا "هزيمة يونيو ١٩٦٧ وتحديد المسئولية" دار زهور المعرفة والبركة .

واندفاعه الأهوج دون تبصر ، فقتلت الآلاف من الجنود ومن المدنيين ، ودمرت مرافق عديدة ، وبددت على الأسلحة أموال لا تحصى – فهل قتل آلاف المصريين في هاتين الحربين كان لـ " مصلحة الشعب " ؟! وهل ضياع كل هذه المرافق والعتاد والأموال قدم " مصلحة الشعب " ؟!!

وباسم " مصلحة الشعب " أغلق حدود مصر على أهلها ، فمنع المصريين من الخروج من مصر طلباً للرزق ، فأضاع عليهم فرصاً عديدة جداً وعظيمة جداً للكسب بالعملة الصعبة خصوصاً في تلك السنوات التي كانت فيها أبواب دول النفط وأمريكا وكندا واستراليا مفتوحة على مصراعيها لاستقبال العاملين – فهل كان إفقار المصريين وحرمانهم من الأموال بالعملات الصعبة وتدمير الجنيه المصري وحرمان مصر من هذه المزايا – في " مصلحة الشعب " ؟!

والقائمة طويلة تستغرق عدة صفحات من هذه القرارات والتصرفات التي أصدرها عبد الناصر باسم " مصلحة الشعب " فقضى على مقدرات الشعب المصري المسكين، الذي كانت تُساق غوغاؤه في مظاهرات كاذبة مفتعلة لتأييد هذه القرارات " الشعبية " كما كان حَمَلَة مباخر عبد الناصر يسوِّدون صفحات جرائده الهزيلة لإحراق البخور حول هذه القرارات " بصراحة " [1]

ويقول في موضع آخر من كتابه " كان الاقتصاد المصري يقوم على أسس راسخة وأرقام صادقة واضحة وينهض بأعبائه رجال وشركات خاصة تخلص في أعمالها وإدارتها ، وإذا به يصبح أرقاماً بهلوانية يتلاعب بها وزراء مال لا علم عندهم ، ولا ضمير ، يقدمون موازنات زائفة ويخططون خططاً وهمية خمسية وغير خمسية مما أدى باقتصاد مصر إلى الإفلاس وتكاثر الديون وانهيار سعر الجنيه المصري انهياراً متواصلاً لا يصده شيء حتى أصبح – في مقابل العملات القوية – يساوي أقل من عشرة في المائة من سعره القديم .

([1]) د. عبد الرحمن بدوي " سيرة حياتي " ج ١ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ص ٢٥٠ ، ٢٥١ .

وكان الإسكان ميسوراً يعلن في كل مكان عن شقق خالية للإيجار وتتزايد المباني بما يزيد عن حاجة السكان ، وإذا بالملايين لا يجدون مساكن لهم ، فضلاً عن عشرات الآلاف من المنازل القديمة التي تنهار كل عام على رءوس ساكنيها " [1] .

شهادة د . رشاد رشدي

وإليكم الآن شهادة الأديب الكبير رشاد رشدي [2] عن سياسة الحكم في عهد جمال عبد الناصر : " جاءت ثورة سنة ١٩٥٢ . وهنا طرأت على الحياة المصريَّة ظاهرة جديدة . فقد حلَّ الوهم على الحقيقة والجهل محل العلم ، أنا لا أتكلم عن إنجازات وسلبيات ثورة يوليو وإنما أتكلم عن ما هو أهم وأخطر . وهو المسار الجديد الذي سارت هذه الثورة فيه بالذات المصرية ، ماذا أسميه ؟ طريق التعمية ؟ طريق الأقنعة؟ الطريق الذي يؤدى إلى لا طريق ؟ ربما كانت أفضل التسميات هي طريق الأوهام ولا أقول الأحلام . فهناك فرق بين الحلم والوهم . الأول قد يؤدى إلى تحقيق الذات . أما الثاني فيؤدى بالضرورة إلى ضياع الذات ... وهذا ما فعلته ثورة يوليو بالذات المصريَّة خلال عمرها الذي دام ثمانية عشر عاماً ...

فقد أوهمت الإنسان المصري بأنه يسمع ويعيش ويرى مالا وجود له في الحقيقة وكانت النتيجة أن تاهت الذات المصرية كما يتوه المسافر في الصحراء عندما يكون رائده الوحيد هو السراب . ومع ذلك يؤكد له من يقوده أن السراب ليس خداع نظر بل حقيقة لا شك فيها .

الأمثلة كثيرة لا أعرف ماذا أختار منها وماذا أترك ؟ كانت هناك في الأول هيئة التحرير ثم الإتحاد القومي ثم الإتحاد الاشتراكي وكلها أجهزة صنعها النظام لتسانده وتحميه أي أجهزة قمع ووصاية على الناس. ومع ذلك كانوا يقولون لنا إن هذه الأجهزة التي لم يتدخل الشعب في اختيار أفرادها أو حتى في قبولها أو رفضها إنما هي بدائل

([1]) د. عبد الرحمن بدوي " سيرة حياتي " ج ١ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ص ٣٢٤

([2]) د. رشاد رشدي (١٩١٢- ١٩٨٣) رئيس قسم الأدب الإنجليزي بجامعة القاهرة كاتب وأديب ومفكر .

للأحزاب بل إنها أفضل ما وصلت إليه عبقرية القرن العشرين في نظم الحكم الديمقراطي .

وكانت القوات المسلحة الباسلة تصاب بالهزائم الواحدة بعد الأخرى ومع ذلك كانوا يصورون للناس أن كل هزيمة من هذه الهزائم إنما هي في الواقع انتصار رائع وكنا نشك أحياناً ونصدق ما يقولون في أغلب الأحيان . فمن أين لنا أن نميز الحقيقة من الوهم . وكيف يتأتى لنا – وهذه هي الحال – أن نعرف من المسئول عن هذه الهزائم أو الانتصارات وكانوا يقولون لنا إننا قد تخلصنا من الاستعمار البريطاني وهذا صحيح وبذلك لم تعد لأية جهة أجنبيَّة أيَّة سيطرة على إرادتنا ولكنهم لم يكشفوا لنا أبداً عن المدى التي كانت فيه هذه الإرادة مرهونة بما يقرره الكرملين في موسكو .

وكانت عندنا اشتراكيَّة – هكذا كانوا يقولون – والاشتراكيَّة في جوهرها هي تكافؤ الفرص ولكن الفرص كانت فقط لعملاء النظام من التنظيم الطليعي وغيره من التنظيمات التي تضم أهل الثقة وتفضلهم على أهل الخبرة لا لسبب سوى أنهم يدينون بالولاء – لمصر – بل لمراكز القوى التي تسخرهم لبلوغ أغراضها . وكانت حرية الفرد مكفولة – هكذا كانوا يقولون – ولكن ما لم يقله أحد هو أن هذه الحرية كانت مكفولة بشرط وهو أن يصبح الإنسان كتمثال القرد الذي كانوا يضعونه على مكاتبهم الرسمية أعمى أصم أبكم أو يصبح في السجن لا لشيء سوى أن الجهاز البوليسي كان دائم الحرص على أن يوهم الحاكم أن هناك مؤامرة وإلا فمن أين يستمد هذا الجهاز سلطاته أو بماذا يبرر وجوده ؟ وكانت عندنا محاكم ومحاكمات – أي سيادة القانون هكذا كانوا يقولون – ولكن كانت الأحكام تصدر مقدماً – أي قبل المحاكمة – وعندما تنتهي مدة الحكم ويخرج السجين إلى ا لنور كانت تتلقفه أيدي الأجهزة البوليسية المتشعبة حيث ينقلونه إلى معتقل يظل فيه مدى حياته إلى أن يموت ... وكانت حرية الصحافة من المفاخر التي تتشدق بها مراكز القوى ولكن كان في كل دار صحيفة رقيب على الرأي بل وعلى الخبر حتى ولو كان خبراً ينشر في صفحة الوفيات مادام المتوفى شخصاً غير مرغوب فيه وكانت هناك أوهام حلَّت محل الحقائق وأقنعة لوجوه جميلة تخفى ما تحتها من قبح وبشاعة ويافطات تعلن عكس ما

تبطن . والنتيجة أن عاش الإنسان المصري تلك الفترة من حياته غريباً عن واقعة فتاه عن ذاته أو فقدها وهذا أسوأ ما يمكن أن يصيب الفرد أو الأمة "[1] .

البيان الختامي للحقبة الناصريّة

ونختم هذا الكتاب ببيان ختامي يوجز ما فصلناه هذا البيان الذي كتبه مؤرخ متخصص في الحقبة الناصرية وهو دكتور حمادة حسنى[2] : " الدول الأوربيَّة أدانت وجرَّمت كل الطغاة – كان شعوبهم يصفِّقون لهم بجنون – (هتلر وموسوليني وفرانكو وتيتو ونكروما ... القائمة طويلة) وكل من يحتفي بهم بغض النظر عما حقَّقوه من انتصارات وانجازات ونحن نحتفي بديكتاتور غوغائي لم ينتصر في حرب واحدة ...

ديكتاتور مزَّق الأعراض وشتَّت القيم وسحق الإخلاص وأبعد الدين وقهر القانون وحطَّم الرءوس وضيَّع الذمم وأفسد الشعب والجيش وغيَّر مفاهيم الناس وأخلاقهم واستخدم في ذلك أداة بسيطة الشكل عظيمة الأثر الكرباج فعبد الناصر أحكم سيطرته التامة علي كل مؤسسات الدولة وسلطاتها (السلطة التنفيذية (الحكومة) والسلطة التشريعيَّة (البرلمان) والتنظيمات السياسيَّة الهلاميَّة بدأ من هيئة التحرير (١٩٥٣–١٩٥٧) والاتحاد القومي (١٩٥٧–١٩٦١) والاتحاد الاشتراكي (١٩٦٢–١٩٧٦) والتنظيم الطليعي (١٩٦٣–١٩٧٠) ومنظمة الشباب والشرطة والجيش ... لم يبق إمامة إلا القضاء الذي اخترقه في البداية من خلال التنظيم الطليعي إلا أن الأغلبيَّة الساحقة من رجال القضاء لم يغريهم ذهب المعز ولم يرهبهم سيفه ... فدبَّر لهم مذبحة القضاء (١٩٦٩) بعد أن رفضوا الانضمام إلى الاتحاد الاشتراكي .

فعبد الناصر هو السبب الأساسي في حدوث الهيمنة الأمريكيَّة والصهيونيَّة على المنطقة فحكمه تميز بغياب مقوَّمات الدولة المدنيَّة وعلى رأسها احترام القانون واحترام حقوق الإنسان فالاعتقالات العشوائيَّة كانت تقوم على الشبهة وتقارير أعضاء التنظيم

([1]) د. رشاد رشدي جريدة الأهرام بتاريخ ٩/ ٥ / ١٩٧٩.

([2]) الدكتور حمادة حسني مدرس التاريخ الحديث بجامعة قناة السويس، وهو متخصص في تاريخ الحقبة الناصرية وصدرت له عدة مؤلفات حول تاريخ هذه الحقبة أهمها " التنظيمات السياسية لثورة يوليو" و"عبد الناصر والقضاء" و "وجوه في التقارير السرية للتنظيم الطليعي" .

الطليعي .. وكذلك المحاكمات الصوريَّة وتحويل نصف المجتمع جاسوساً على النصف الآخر الأمر الذي أشاع الخوف في قلوب الشعب ومثقفيه هذا بالإضافة إلى عمليات التعذيب الجماعيَّة التي تعرض لها سجناء الرأي والتي لم تعرفها معسكرات النازي ، عبد الناصر مسئول عن كل ما جرى من انتهاك حقوق الإنسان والزج بعلماء مصر ومفكريها في السجون وتسليط زبانيته عليهم وهي مسئولية يتحملها أمام الله والتاريخ فالنظم الديكتاتوريَّة ليست نظم وطنيَّة بأي حال من الأحوال .

وفى كل عصور الانحطاط التي مرت بها البشريَّة شهد الإنسان ألوان من التعذيب والاضطهاد لأسباب دينيَّة أو سياسيَّة أو اجتماعيَّة أو فكريَّة ولكنة لم يشهد أبداً تعذيباً بدون سبب إلا لشهوة التعذيب إلا في عصر عبد الناصر وكل ذلك وصمة عار لعبد الناصر وعصره فقد كانت الجريمة لا تستهدف فقط من هم خلف الجدران لكنة الإنسان في مصر .

قال تعالى : ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ المُفْسِدِينَ﴾[القصص:٤] .

فلم يقتصر الأمر على هذه المظالم والتي هي في تقديرنا سبب الهيمنة فحُكْم عبد الناصر بالجملة كان كارثة على مصر وعلى جميع القضايا القوميَّة التي تناولها فقد تناول قضية وحدة وادي النيل وانتهت بانفصال السودان عن مصر والملك فاروق حافظ تماماً على وحدة مصر والسودان بل إن النحاس باشا كان يعلن في وجهه الإنجليز تقطع يدي ولا تفصل مصر عن السودان وتناول عبد الناصر قضية الوحدة المصريَّة السوريَّة فانتهت بانفصال سوريا عن مصر وتدخل في اليمن فسجن الثوار اليمنيين في السجن الحربي بالقاهرة وتسبب في قتل ١٠٠ ألف يمنى ٢٤ ألف جندي مصري (قتيل وجريح ومفقود) وتناول قضية تأميم شركة قناة السويس فانتهت باحتلال إسرائيل سيناء وخروجها منها بثمن باهظ هو فتح خليج العقبة للملاحة الإسرائيلية

ومقتل ٥٠٠٠ ضابط وجندي وضياع صفقة الأسلحة التشيكيَّة تناول القضيَّة الفلسطينيَّة عندما كانت إسرائيل تحتل نصف فلسطين فانتهت باحتلال إسرائيل النصف الآخر من فلسطين ومعه غزة والجولان وجنوب لبنان وسيناء ومات عشرين ألف جندي مصري ولولا حرب أكتوبر ومبادرة السلام التي قام بها الرئيس السادات لكانت سيناء محتلَّة حتى اليوم ولكن بفضل جهاز الدعاية الناصري الذي كان يقوده الدَّجال تحوَّلت كل هذه الهزائم إلى انتصارات وقد كانت هذه الانتصارات الموهومة هي التي يتركز عليها الناصريين وباقي فلول اليسار حتى بعد أن عرف الشعب المصري والعربي حقيقتها وأصبح يدفع ثمنها غاليًا ٠

وعند وفاة عبد الناصر عام ١٩٧٠ كانت معظم القرى المصرية لم تدخلها الكهرباء ولا مياه الشرب النقية والصرف الصحي وأغلب مساكن القرى من الطوب اللبن لأن عبد الناصر صرف أموال طائلة علي صناعة مجده الشخصي الزائف وحروبه الخاسرة ولم تكن التنمية البشريَّة هي الهدف فكل مشاريع عبد الناصر (المصانع والسد العالي والمنشآت الأخرى) لم تتكلف أكثر من مليار جنية وصرف علي حروبه أكثر من ١٠مليارات جنيه بالإضافة إلى ٦٥ ألف جندي قتلوا في حروبه ولو صرف ملياراً واحداً (بأسعار زمان) لحل مشكلة الصرف الصحي بالقرى ، وفى عهد عبد الناصر تم استيراد القمح لأول مرة من الولايات المتحدة الأمريكية بعد أن كانت مصر مصدِّرة للقمح والقطن والمنسوجات في العصر الملكي والمدهش وهذا تاريخ عبد الناصر أن ترى من أنصاره جرأة عجيبة على أن يتحدثوا في المسائل العامة التي أفسدها هو منذ عام ١٩٥٤ . ولكن على أية حال فليس ذلك بمستغرب علي سيادتها وقد نشأت في جو سياسي كان يتاجر بالحروب الخاسرة ثم يملأ الدنيا بأننا انتصرنا والأناشيد والخطب النثرية ثم لا شيء بعد ذلك" .

***

المؤلف في سطور

محمد يونس هاشم

- كاتب وفكر إستراتيجي .
- عضو اتحاد كتاب مصر .
- مدير نشر دار زهور المعرفة والبركة .

بلغت مؤلفات الكاتب واحد وثلاثون كتاباً ، توجد كتب المؤلف في مكتبات أفضل ٤٠ جامعة على مستوى في العالم، ومعظم الجامعات العربية، ومعظم مدارس وجامعات مصر.

* عدد (٢١) كتب في مكتبة جامعة هارفارد الأمريكية الجامعة الأولى في العالم .
* عدد (١) كتاب جامعة كمبردج رقم ٢ في الترتيب العالمي للجامعات.
* عدد (١٩) كتب في مكتبة جامعة استنافورد الأمريكية رقم ٣ في الترتيب العالمي.
* عدد (١٦) كتب في مكتبة جامعة كاليفورنيا الأمريكية رقم ٤ في الترتيب العالمي.
* عدد (١٣) كتب في مكتبة جامعة كولومبيا الأمريكية رقد ٧ في الترتيب العالمي.
* عدد (١٢) كتب في مكتبة جامعة برينستون الأمريكية رقم ٨ في الترتيب العالمي.
* عدد (١) كتاب جامعة أكسفورد رقم ١٠ في الترتيب العالمي .
* عدد (١٦) كتب في مكتبة جامعة ييل الأمريكية رقم ١١ في الترتيب العالمي .
* عدد (١٩) مكتبة الكونجرس الأمريكية .

وكتبت عن مؤلفاته عديد من الصحف العربية، والأجنبية والمواقع الالكترونية.

استضافته قناة النيل الثقافية في برنامج " الرفيق " لعرض كتابه " متى يثور المصريون" .

- قررت دولة قطر قصة " وردة المدرسة " على الصف الثالث الابتدائي .

التليفون المحمول: 01226406489

البريد الالكتروني: yuness2005@hotmail.com

موقع المؤلف على الإنترنت www.albab.hooxs.com